

Journal of Ma'ālim al-Qur'ān wa al-Sunnah

Volume 22 No. 1 (2026)

ISSN: 1823-4356 | e-ISSN: 2637-0328

Homepage: <https://jmqs.usim.edu.my/>



- Title : **The Textual Approach to Deriving Qur'anic Objectives: A Methodological Study of Explicit Indicators in Maqāṣid al-Qur'ān**
- Author (s) : Md Ramij Uddin, Tazul Islam
- Affiliation (s) : Universiti Sains Islam Malaysia,
- DOI : <https://doi.org/10.33102/jmqs.v22i1.529>
- History : Received: April 1, 2026; Revised: May 15, 2026; Accepted: June 1, 2026; Published: June 30, 2026.
- Citation : Md Ramij Uddin, & Tazul Islam. " المسالك في استخراج مقاصد القرآن : دراسة منهجية لمسلك "النص": The Textual Approach to Deriving Qur'anic Objectives: A Methodological Study of Explicit Indicators in Maqāṣid al-Qur'ān. *Ma'ālim Al-Qur'ān Wa Al-Sunnah*, 22(1), 304–336.  
<https://doi.org/10.33102/jmqs.v22i1.529>
- Copyright : © The Authors
- Licensing :  This article is open access and is distributed under the terms of [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)
- Conflict of Interest : Author(s) declared no conflict of interest

## المسالك في استخراج مقاصد القرآن دراسة منهجية لمسلك "النص"

### The Textual Approach to Deriving Qur'anic Objectives: A Methodological Study of Explicit Indicators in Maqāsid al-Qur'ān

Md Ramij Uddin\*

Tazul Islam

Faculty of Quranic and Sunnah Studies  
Universiti Sains Islam Malaysia

#### الملخص

هذا البحث المعنون؛ المسالك في استخراج مقاصد القرآن دراسة منهجية لمسلك "النص"، يتناول على دراسة منهج "النص" باعتباره أحد المسالك الرئيسية لاستخراج مقاصد القرآن الكريم. وذلك في ظل غياب الاهتمام الكافي باستنباط مقاصد الآيات القرآنية وحكمها وفق المناهج العلمية المعتبرة. وضعف التوظيف المنهجي للمسالك المؤدية إلى المقاصد القرآنية. فيهدف البحث إلى معالجة هذه الفجوة من خلال تقديم دراسة منهجية لمسلك "النص"، مع تسليط الضوء على أبرز الأدوات اللغوية والأساليب البيانية التي اعتمدها القرآن الكريم في بيان الأحكام والمقاصد الشرعية. وقد تضمن البحث جانبا تطبيقيا تناول فيه نماذج قرآنية توضح الأدوات التعليلية لهذا المسلك، مبينا من خلالها العلاقة بين البنية اللغوية والدلالة المقاصدية، وكيفية توجيه الخطاب للكشف عن الحكم والمقاصد الكامنة في النصوص القرآنية. بما يجعل توظيفها أكثر سهولة ووضوحا عند استخراج المقاصد القرآنية. ويعزز من دقة الفهم المقاصدي للنصوص القرآنية في ضوء التحليل اللغوي والسياقي. تعتمد الدراسة منهجية نوعية في جمع المعلومات وتحليلها، مستندة إلى المنهجين الوصفي والاستقرائي للوصول إلى استنتاجات علمية دقيقة تسهم في تأسيس رؤية أكثر اتزاناً في التعامل مع النصوص القرآنية. وقد أسفرت النتائج عن تحديد منهجية متكاملة لاستخراج مقاصد القرآن الكريم، من خلال توضيح مسلك "النص" وأدواته المتعددة، بما يسهم في ضبط الفهم

---

\*Correspondence concerning this article should be addressed to Md Ramij Uddin, Universiti Sains Islam Malaysia at ramijuddinamin@gmail.com

المقاصدي للنصوص القرآنية حسب المسالك. كما يسهل هذا المسلك الكشف عن المقاصد والحكم القرآنية، والوقوف على مسلك "النص" بجميع أدواته وأساليبه، مما يعزز القدرة على استنباط المقاصد القرآنية وفق التعليل الصريح، ويحد من الخلافات الفقهية الناشئة عن التأويلات الظنية. وأوصت الدراسة إلى ضرورة تفعيل مسلك "النص" في استخراج المقاصد القرآنية وتطبيقه على مختلف الآيات، لما له من أثر في تسهيل التعامل مع النصوص القرآنية وفق رؤية مقاصدية واضحة ومنهجية علمية دقيقة تسهم في تجديد الدراسات القرآنية المعاصرة.

**الكلمات المفتاحية:** مسلك، النص، استخراج، مقاصد القرآن، التعليل.

### Abstract

This article examines the "text" approach (*maslak al-naṣṣ*) as a principal methodological pathway for deriving the objectives of the Qur'an (*maqāsid al-Qur'ān*). It begins from the observation that contemporary Qur'anic studies have not yet given sufficient systematic attention to the extraction of Qur'anic purposes, wisdoms, and justificatory meanings through recognised methodological procedures, resulting in an underdeveloped use of the interpretive pathways that disclose Qur'anic objectives. The study therefore aims to formulate a coherent methodological account of the textual approach by identifying the linguistic indicators, rhetorical patterns, and explicit causative structures through which the Qur'an communicates rulings, values, and higher purposes. Methodologically, the research adopts a qualitative design grounded in descriptive and inductive analysis. It gathers relevant theoretical discussions on *maqāsid al-Qur'ān* and examines selected Qur'anic examples in order to analyse how textual expressions, contextual placement, and linguistic markers of causality contribute to the disclosure of purposive meaning. The findings demonstrate that the textual approach offers an integrated and disciplined framework for deriving Qur'anic objectives, particularly when explicit textual indicators, causal particles, explanatory clauses, and rhetorical emphasis are read in relation to their immediate and broader Qur'anic contexts. The study further shows that this approach strengthens *maqāsid*-oriented interpretation by linking linguistic structure to purposive signification, thereby making the extraction of Qur'anic wisdoms more precise, accessible, and methodologically controllable. In discussion, the article argues that activating the textual approach can reduce excessive reliance on speculative interpretation, limit juristic disagreement

caused by weak inferential assumptions, and support a renewed Qur'anic hermeneutic that remains faithful to textual evidence while responsive to contemporary scholarly needs.

**Keywords:** textual approach; Qur'anic objectives; *maqāṣid al-Qur'ān*; causality; Qur'anic hermeneutics.

## المقدمة

يعد فهم النصوص القرآنية في ضوء مقاصدها أحد المرتكزات الأساسية في الدراسات القرآنية. ويعتبر علم مقاصد القرآن الكريم من أهم العلوم التي تسهم في استيعاب النصوص الشرعية وفهم حكمها ومصالحها بصورة دقيقة. وعلى الرغم من العناية الكبيرة التي أولتها الدراسات الإسلامية لاستنباط المقاصد القرآنية عبر العصور، إلا أن البحث في المسالك المنهجية لاستخراج هذه المقاصد لا يزال بحاجة إلى مزيد من التأسيس العلمي والدراسة المتخصصة. إذ تركزت أغلب الدراسات على استنباط المقاصد بطرق إجمالية تستند إلى السياق والسباق، دون إرساء منهجية واضحة توظف التعليل الصريح الوارد في النصوص القرآنية. هذا القصور المنهجي أدى إلى تباين في التأويلات الفقهية، نتيجة غياب مرجعية علمية دقيقة في دراسة المقاصد.

انطلاقاً من هذه الإشكالية، جاء اختيار هذا البحث لدراسة مسلك "النص" باعتباره أحد المسالك الأكثر دقة ووضوحاً في الكشف عن المقاصد القرآنية، نظراً لكونه يستند إلى التعليل الصريح الوارد في النصوص القرآنية ذاتها.

تنبثق أهمية هذا البحث من عدة جوانب، أبرزها:

(أ) تقديم دراسة أكاديمية متخصصة حول مسلك "النص" باعتباره أداة تحليلية دقيقة في استخراج المقاصد.

ب. تطوير المنهجية العلمية في دراسة النصوص القرآنية، وفق أسس لغوية وبيانية رصينة.

ج. تقديم رؤية تطبيقية تساعد الباحثين في توظيف هذا المسلك في تحليل النصوص واستنباط مقاصدها.

فيهدف هذا البحث إلى سد الفجوة العلمية القائمة حول مسلك "النص"، عبر تقديم رؤية شاملة حول أدواته وأساليبه التطبيقية، مما يعزز الفهم المقاصدي للنصوص القرآنية وفق

منهجية علمية دقيقة. كما يسعى إلى إثراء الدراسات المقاصدية بأساليب تحليلية جديدة تتماشى مع المنهج القرآني في التعليل، وتسهم في تطوير مناهج البحث في مقاصد القرآن الكريم.

**المسالك في استخراج مقاصد القرآن الكريم:**

يتناول هذا البحث بالبيان والتحليل المسالك في استخراج مقاصد القرآن الكريم. "وهي الطرق الموصلة إلى إثباتها وتحديدها. ولما كانت المقاصد الشرعية عبارة عن معان مستنبطة من النصوص ظاهرا وباطنا، مضبوطة بضوابط الثبوت والظهور والانضباط، كان لا بد لاستخراجها من مسالك يسترشد بها الباحث"<sup>1</sup>. لذا دعت الحاجة إلى إبراز هذه المسالك لتكون عوناً للناظرين على استخراج المقاصد من النص القرآني. ولقد سلك القرآن الكريم مسالك شتى لبيان المقاصد؛ كما ذكرها العلماء وبينها حسب ما يلي:

1. فقد ذكر نعمان جعيم وهي: النص، والإيماء والتنبيه، والإجماع، والشبه، والدوران، والسير والتقسيم، المناسبة، والاستقراء<sup>2</sup>.

2. وقد ذكر الرازي في المحصول: وهي عشرة؛ النص، والإيماء، والإجماع، والمناسبة، والتأثير، والشبه، والدوران، والسير والتقسيم، والطرده، وتنقيح المناط، وأمور أخرى اعتبرها قوم وهي عندنا ضعيفة<sup>3</sup>.

فهذا البحث يقتصر على بيان مسلك "النص" فقط. حيث إنه يعد من أقوى المسالك دقة ووضوحاً في استخراج مقاصد القرآن الكريم. وذلك لأنه يعتمد على التصريح المباشر بالمقصد دون حاجة إلى استدلال إضافي، مما يجعله معياراً مهماً لضبط الفهم المقاصدي للأحكام الشرعية.

**مفهوم المسلك "النص":**

وهو أن يذكر دليل من الكتاب أو السنة على التعليل بالوصف بلفظ موضوع له في اللغة من غير احتياج فيه إلى نظر واستدلال<sup>4</sup>.

1. حامدي، عبد الكريم. 1428هـ / 2007م. المدخل إلى مقاصد القرآن. الرياض: مكتبة الرشد-ناشرون. ص. 139.

2. نعمان جعيم. 1437م. طرق الكشف عن مقاصد الشارح. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع. ص. 153-199.

3. الرازي (أ)، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر. 1418هـ / 1997م. المحصول. د. م. مؤسسة الرسالة. ج. 5. ص. 137.

4. الأمدي، علي بن محمد. 1402هـ. الإحكام في أصول الأحكام. بيروت - دمشق: المكتب الإسلامي. ج. 3. ص. 252.

## دلالات "النص" على التعليل في القرآن الكريم:

وقد جاء التعليل في الكتاب العزيز بالباء تارة، وباللام تارة، وبأن تارة، وبمجموعهما تارة، وبكَي تارة، ومن أجل تارة، وترتيب الجزاء على الشرط تارة، وبالفاء المؤذنة بالسببية تارة، وترتيب الحكم على الوصف المقتضي له تارة، وبلمّا تارة، وبأنّ المشددة تارة، وبلعل تارة، وبالمفعول له تارة<sup>5</sup>. وغيرها من التعليلات قد وردت في القرآن الكريم بصيغ وأساليب متنوعة تعبر عن المقاصد بصورة واضحة. سيتضح ذلك تفصيلاً من خلال الأمثلة:

### 1. التعليل بـ "الباء":

وهي تفيد السببية، وربط الأسباب بالمسببات، حيث علل القرآن الكريم ما لحق بالكفار والمشركين وأهل الكتاب من العذاب والشقاء بسبب كفرهم وشركهم وعصيانهم، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 13]<sup>6</sup>. ومن مقاصدها أنه؛ لما كان المخالف والمعادي يكون متباعداً عن عدوه فقد جعل كأنه في شق آخر، أي ناحية أخرى، والتصريح بسبب الانتقام تعريض للمؤمنين ليستزيدوا من طاعة الله ورسوله، فإن المشيئة لما كانت سبب هذا العقاب العظيم فيوشك ما هو مخالفة للرسول بدون مشاققة أن يوقع في عذاب دون ذلك، وخليق بأن يكون ضدها وهو الطاعة موجبا للخير<sup>7</sup>. وكقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: 24]، حيث علل فضل الأكل والشرب جزاء لما فعله المؤمنون في الدنيا<sup>8</sup>.

### 2. التعليل بـ "اللام":

كما في قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِقَالِ الْإِنسَانِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165]، حيث علل بعثه الأنبياء والرسول بإقامة الحجّة

<sup>5</sup>. ابن قيم الجوزية (أ)، محمد بن أبي بكر. 1411هـ / 1991م. إعلام الموقعين عن رب العالمين. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 1. ص. 151.

<sup>6</sup>. حامدي. 1428هـ / 2007م. المدخل إلى مقاصد القرآن. ص. 66-67.

<sup>7</sup>. ابن عاشور، محمد الطاهر. 1984م. التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد". تونس: الدار التونسية للنشر. ج. 9. ص. 284.

<sup>8</sup>. عادل الشويخ. 2000م. تعليل الأحكام في الشريعة الإسلامية. طنطا: دار البشير للثقافة والعلوم. ص. 64.

عليهم. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِثِينَ حَصِيماً﴾ [النساء: 105]، حيث عُلل إنزال القرآن على رسوله ليكون قانوناً يقضي به الناس<sup>9</sup>. والمراد أنه أنزل عليه الكتاب ليحكم بالطرق والقضايا الدالة على وصف الأحوال التي يتحقق بها العدل فيحكم بين الناس على حسب ذلك، بأن تندرج جزئيات أحوالهم عند التقاضي تحت الأوصاف الكلية المبينة في الكتاب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ في إدراج الجزئيات تحت كلياتها، وقد يعرض الخطأ لغيره، وليس المراد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصادف الحق من غير وجوهه الجارية بين الناس<sup>10</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَالْحَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8]، حيث عُلل الحكمة من خلق الخيل والبغال والحمير وهي اتخاذها وسيلة للركوب والتزين<sup>11</sup>.

### 3. التعليل بـ "أن" المخففة:

والفعل المستقبل بعدها مفيدة للتعليل لما قبله، كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يُحَسِّرَتْنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر: 56]. فهذه تفيد بيان الغاية والحكمة بحرف التعليل "أن" والتقدير: "لئلا تقول نفس" وبه قال الكوفيون، أو يكون التقدير "حذرا أن تقول نفس" وبه قال البصريون<sup>12</sup>. ومن مقاصد هذه الآية أن اتباع أوامر الله مطلوب قبل مجيء العذاب فجأة من غير موعد... وهذا منهج الحكمة والعقل، فإن المبادرة إلى التوبة والعمل الصالح أمر مطلوب قبل فوات الأوان، وذلك قبل الندم، وقبل أن تقول نفس مفرطة في التوبة: يا حسرتاه على التقصير في الإيمان والطاعة، وتدبر القرآن والعمل بأوامره وإرشاداته<sup>13</sup>.

### 4. التعليل بـ "أن واللام":

كقوله تعالى: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء: 165]. وغالب ما يكون هذا النوع في النفي فتأمله<sup>14</sup>. والحكمة من إرسال الرسل وهي إقامة الحجة على الناس،

<sup>9</sup> حامدي. 1428هـ / 2007م. المدخل إلى مقاصد القرآن. ص. 67.

<sup>10</sup> ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 5. ص. 192.

<sup>11</sup> ابن قيم الجوزية (أ). 1411هـ / 1991م. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ج. 1. ص. 151.

<sup>12</sup> حامدي. 1428هـ / 2007م. المدخل إلى مقاصد القرآن. ص. 67.

<sup>13</sup> الزحيلي (ب). 1422هـ. التفسير الوسيط. ج. 3. ص. 2249.

<sup>14</sup> ابن قيم الجوزية (أ). 1411هـ / 1991م. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ج. 1. ص. 151.

وتبيان طريق الهداية الأسلم؛ إذ لو لم يرسلوا لاحتج البشر بجهلهم ما يجب عليهم من الإيمان والعمل الصالح، ... فكان إرسال الرسل وإنزال الكتب لئلا يبقى لمعتذر عذر<sup>15</sup>.

## 5. التعليل بـ "كَي":

كقوله تعالى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: 7]<sup>16</sup>. أي جعلناه مقسوما على هؤلاء لأجل ألا يكون الفيء دولة بين الأغنياء من المسلمين، أي لئلا يتداوله الأغنياء ولا ينال أهل الحاجة نصيب منه. والمقصود من ذلك. إبطال ما كان معتادا في العرب قبل الإسلام من استئثار قائد الجيش بأموال<sup>17</sup> من المغانم. وقد أبطل الإسلام ذلك كله فجعل الفيء مصروفا إلى ستة مصارف راجعة فوائدها إلى عموم المسلمين لسد حاجاتهم العامة والخاصة، فإن ما هو لله وللرسول صلى الله عليه وسلم إنما يجعله الله لما يأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم وجعل الخمس من المغانم كذلك لتلك المصارف<sup>18</sup>.

## 6. التعليل بـ "من أجل":

كقوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]<sup>19</sup>. وهذا بيان أن قتل النفس بغير حق جرم فظيع، كفضاعة قتل الناس كلهم. والمقصود من الإخبار بما كتب على بني إسرائيل بيان للمسلمين أن حكم القصاص شرع سالف ومراد الله قديم، لأن المعرفة بتاريخ الشرائع تبصرة للمتفقهين وتطمينا لنفوس المخاطبين وإزالة لما عسى أن يعترض من الشبه في أحكام خفيت

<sup>15</sup> الزحيلي (أ)، وهبة بن مصطفى. 1411هـ/1999م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. بيروت - لبنان: دار الفكر المعاصر. ج. 6. ص. 36.

<sup>16</sup> ابن قيم الجوزية (أ). 1411هـ / 1991م. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ج. 1. ص. 151.

<sup>17</sup> وهي: المرباع، والصفايا، وما صالح عليه عدوه دون قتال، والنشيط، والفضول. فالرباع: ربع المغانم كان يستأثر به قائد الجيش. والصفايا: النفيس من المغانم الذي لا نظير له فتتعدر قسمته، كان يستأثر به قائد الجيش. والنشيط: ما يصيبه الجيش في طريقه من مال عدوهم قبل أن يصلوا إلى موضع القتال. والفضول: ما يبقى بعد قسمة المغانم مما لا يقبل القسمة على رؤوس الغزاة مثل بعير وفرس.

<sup>18</sup> ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 28. ص. 84-85.

<sup>19</sup> عادل الشويخ. 2000م. تعليل الأحكام في الشريعة الإسلامية. ص. 66.

مصالحها، كمشروعية القصاص، فإنه قد يبدو للأنظار القاصرة أنه علاج بالداء نفسه، فأنكرته بعض الأمم بدعوى أنهم لا يعاقبون الذنب بمثله. غير أن حكمة القصاص أنه أبلغ وسيلة لردع النفوس عن القتل، إذ لا يردعها إلا العلم بأن جزاء القتل هو القتل، أما العقوبة الأخف فلا تمنعها من الإقدام على الجريمة.

ومعنى التشبيه في قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>20</sup> حث جميع الأمة على تعقب قاتل النفس وأخذه أينما ثقف والامتناع من إيوائه أو الستر عليه، كل مخاطب على حسب مقدرته وبقدر بسطة يده في الأرض، من ولاة الأمور إلى عامة الناس. فالمقصود من ذلك التشبيه تحويل القتل وليس المقصود أنه قد قتل الناس جميعا، ألا ترى أنه قابل للعفو من خصوص أولياء الدم دون بقية الناس<sup>20</sup>.

#### 7. التعليل بـ "الفاء" المؤذنة بالسببية:

تأتي الفاء مفيدة السببية والتعليل، مثل: قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الشعراء: 139]، حيث ربطت بين الهلاك وتكذيب الرسول، مما يدل على أن سبب هلاكهم وعلته هو التكذيب. وقوله تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ [الحاقة: 10]، فعلة أخذهم بالعقاب هو العصيان<sup>21</sup>. وقوله تعالى: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [المزمل: 16]<sup>22</sup>. والمقصود من هذا الخبر التعريض بالتهديد أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم ممن كذبوا الرسل. وتفرغ فعصى فرعون الرسول إيماء إلى أن ذلك هو الغرض من هذا الخبر وهو التهديد بأن يحل بالمخاطبين لما عصوا الرسول صلى الله عليه وسلم مثل ما حل بفرعون<sup>23</sup>.

#### 8. التعليل بـ "لَمَّا":

كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اٰنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ اٰجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: 55]، فما حصل منهم هو علة ما وقع لهم من الانتقام والإغراق، وقوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّا هُوَ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خٰسِيْنَ﴾ [الأعراف: 166]، فعلة المسخ هو العتق والظلم<sup>24</sup>. أي فلما ترمدوا

<sup>20</sup> ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 6. ص. 177-178.

<sup>21</sup> حامدي. 1428هـ / 2007م. المدخل إلى مقاصد القرآن. ص. 67-68.

<sup>22</sup> عزيمة، محمد عبد الخالق. د. ت. دراسات لأسلوب القرآن الكريم. القاهرة: دار الحديث. ج. 1. ص. 567.

<sup>23</sup> ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 29. ص. 272-273.

<sup>24</sup> حامدي. 1428هـ / 2007م. المدخل إلى مقاصد القرآن. ص. 68.

وتكبروا وأبوا أن يتركوا ما نهاهم عنه الواعظون قلنا لهم كونوا قردة صاغرين أذلاء بعداء عن الناس. وفي الآية إيماء إلى أن هذا المسخ كان لمخالفتهم الأوامر وتماديهم في العصيان<sup>25</sup>. فانقلبوا بإذن الله قردة، وأبعدهم الله من رحمته<sup>26</sup>.

ومع خصوصية الآيات بالنسبة لليهود وحملتها على أخلاقهم فإن فيها تلقينات بليغة مستمرة المدى مما هو جوهري في جميع القصص القرآنية. ففيها تقييح للحيل التي يراد بها التخلص من حدود الله ومحظوراته، وتقرير أن الله حينما يأمر بواجب أو ينهى عن محظور لا يمكن أن يرضى بالحيلة للتخلص مما أمر ونهى، ورد قاطع ومباشر على الذين يسوغون الحيل ويبيحونها وخاصة في صدد أحكام الدين وأركانه والتفلت من العهود والعقود وفيها تصوير لما في ذلك من بشاعة وفسق وافتراء على الله وإنذار قاصم لمن يجرؤ على ذلك. ثم فيها بشرى وتثبيت للذين يnehون عن السوء والفحشاء والعدوان على حدود الله وحث على النهي عن ذلك. فهذا واجب المتقين. والله ضامن لمن يقوم به النجاة والفوز<sup>27</sup>.

## 9. التعليل بـ "إِنَّ" المشددة:

كتعليل استجابة الله تعالى دعاء الأنبياء والصالحين: قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ. وَوَهَبْنَا لَهُ. يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ. زَوْجَةً. إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا. وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]<sup>28</sup>، ويجوز فتح همزة "إِنَّ" وكسرها في مقام التعليل: الفتح على تقدير لام العلة، والكسر على أَنَّ التعليل بجملة "إِنَّ" ومعموليها. والكسر أبلغ في التعليل<sup>29</sup>. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا. وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ﴾ جملة واقعة موقع التعليل للجمل المتقدمة في الثناء على الأنبياء المذكورين، وما أوتوه من النصر، واستجابة الدعوات،

<sup>25</sup> المراغي، أحمد بن مصطفى. 1365هـ/1946م. تفسير المراغي. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ج. 9. ص. 95-96.

<sup>26</sup> السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. 1420هـ/2000م. تفسير السعدي. عبد الرحمن بن معلا اللويحق (المحقق). د. م: مؤسسة الرسالة. ص. 307.

<sup>27</sup> دروزه، محمد عزت. 1383هـ. التفسير الحديث. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. ج. 2. ص. 523.

<sup>28</sup> حامدي. 1428هـ / 2007م. المدخل إلى مقاصد القرآن. ص. 68.

<sup>29</sup> عزيمة، محمد عبد الخالق. د. ت. دراسات لأسلوب القرآن الكريم. القاهرة: دار الحديث. ج. 1. ص. 570.

والإنجاء من كيد الأعداء، وما تبع ذلك<sup>30</sup>. والمراد أنهم ما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم إلا لمبادرتهم أبواب الخير، ومسارعتهم في تحصيلها، كما يفعل الراغبون في الأمور الجادة<sup>31</sup>.

## 10. التعليل بـ "لَعَلَّ":

وهي تفيد التعليل المجرد عن الرجاء في كلام الله تعالى، بخلاف الواردة في كلام البشر فإنها تفيد الترجي، كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21]. فـ "لَعَلَّ" في هذه الآية تفيد التعليل، فالأمر بالعبادة من أجل التقوى<sup>32</sup>. فالمعنى اعبدوا ربكم رجاء أن تتقوا فتصبحوا كاملين متقين، فإن التقوى هي الغاية من العبادة فرجاء حصولها عند الأمر بالعبادة وعند عبادة العابد أو عند إرادة الخلق والتكوين واضح الفائدة<sup>33</sup>. فإن العبادة على الوجه الذي أرشدت إليه الآية تطبع في النفس ملكة خشية الله وتعظيمه ومراقبته، وتعلي همة العابد وتقوي عزمته وإرادته، فتزكو نفسه وتنفرد من المعاصي والردائل، وتآلف الطاعات والفضائل، وهذه هي التقوى<sup>34</sup>.

## 11. التعليل بـ "الكاف":

وترد قليلة في التعليل، فأكثرها يفيد التصور والتشبيه، كقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ [البقرة: 151]، قال الأخفش: أي لأجل إرسالي فيكم رسولا منكم فاذكروني، وهو ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَلَكُمْ﴾ [البقرة: 198]، أي فاعبدوا الله لأجل أن هداكم إلى الإيمان<sup>35</sup>. وقوله: ﴿كَمَا هَدَلَكُمْ﴾ تشبيه للذكر بالهدى وما مصدرية. ومعنى التشبيه في مثل هذا المشاهدة في التساوي أي اذكروه ذكرا مساويا لهدايته إياكم فيفيد معنى المجازاة والمكافأة لذلك يقولون إن الكاف في مثله للتعليل<sup>36</sup>. بين الله سبحانه طريقة الذكر، فقال: واذكروه كما

<sup>30</sup> ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 17. ص. 136.

<sup>31</sup> الزحيلي (أ). 1411هـ / 1991م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج. 17. ص. 123.

<sup>32</sup> حامدي. 1428هـ / 2007م. المدخل إلى مقاصد القرآن. ص. 69. وينظر: ابن قيم الجوزية (أ). 1411هـ / 1991م.

إعلام الموقعين عن رب العالمين. ج. 1. ص. 151.

<sup>33</sup> ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 1. ص. 330.

<sup>34</sup> محمد رشيد رضا. 1990م. تفسير المنار. د. م. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج. 1. ص. 156.

<sup>35</sup> الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله. 1376هـ / 1957م. البرهان في علوم القرآن. بيروت - لبنان: دار

إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه. ج. 4. ص. 310.

<sup>36</sup> ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 2. ص. 242.

علمكم كيفية الذكر، بأن يكون بتضرع وإخلاص وإناة قلبية وخشوع وحضور القلب مع الله، وهذا هو الذكر الحسن، كما هداكم هداية حسنة، وإن كنتم من قبل هذا الهدى من الضالين عن الحق في العقيدة والعمل، إذ كنتم تعبدون الأوثان والأصنام، وتتخذونها وسطاء أو شفعاء عند الله، لتقربكم إلى الله زلفى<sup>37</sup>.

## 12. التعليل بـ "مِنْ":

هي قليلة الورد في التعليل، كقوله تعالى: ﴿مِمَّا حَطَّيْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح: 25]، أي أغرقوا بسبب خطيئاتهم. وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ [قريش: 4]، أي من أجل الجوع. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: 83]، أي أن عرفانهم بالحق سبب خشيتهم من الله تعالى<sup>38</sup>. و (من) في قوله ﴿مِمَّا عَرَفُوا﴾ تعليلية، أي سبب فيضها ما عرفوا عند سماع القرآن من أنه الحق الموعود به<sup>39</sup>. أي وإذا سمع أولئك الذين قالوا إنا نصارى ما أنزل إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله رحمة للعالمين ترى أعينهم تفيض من الدمع حتى يتدفق من جوانبها لكثرتهم من أجل ما عرفوه من الحق الذي بينه لهم القرآن الكريم، ولم يمنعهم ما يمنع غيرهم من عتو واستكبار<sup>40</sup>. فيستخرج منه أنه؛ لا مانع يمنعنا من الإيمان بالله واتباع الحق الذي نجده في القرآن، ونطمع أن يدخلنا ربنا الجنة، بصحبة الصالحين أتباع خاتم النبيين الذين ثبت صلاحهم وصحة إيمانهم<sup>41</sup>.

## 13. التعليل بـ "عَنْ":

وهي قليلة الورد في التعليل، مثل: كقوله تعالى: ﴿قَالُوا يُهْودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 53]، أي لا نترك عبادة آلهتنا لدعوتك إلى التوحيد. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَاهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة: 114]، فسبب الاستغفار وعلته ما كان من المواعدة بالتوبة والإناة<sup>42</sup>. أي؛ ما ينبغي للنبي

<sup>37</sup> الزحيلي (أ). 1411هـ / 1999م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج. 2. ص. 214.

<sup>38</sup> الزركشي (أ). 2376هـ / 1957م. البرهان في علوم القرآن. ج. 4. ص. 419.

<sup>39</sup> ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 7. ص. 10.

<sup>40</sup> المراغي. 1365هـ / 1946م. تفسير المراغي. ج. 7. ص. 7.

<sup>41</sup> الزحيلي (ب). 1422هـ. التفسير الوسيط. ج. 1. ص. 489.

<sup>42</sup> الزركشي (أ). 1376هـ / 1957م. البرهان في علوم القرآن. ج. 4. ص. 287.

والمؤمنين، وليس من شأنهم أن يستغفروا أو يدعو الله بالمغفرة للمشركين. والمنع حتى ولو كانوا من أقرب المقربين، قياما بحق البر والصلة والشفقة عليهم. من بعد ما ظهر لهم بالدليل أنهم من أصحاب النار، بأن ماتوا على الكفر، أي أن العلة المانعة من هذا الاستغفار هو تبين كونهم من أصحاب النار، وهذه العلة لا تفرق بين الأقارب والأبعد.

فيستنبط منها؛ تحريم الدعاء لمن مات كافرا، بالمغفرة والرحمة، أو بوصفه بذلك، كقولهم: المغفور له، والمرحوم فلان. وقطع الموالاة مع الكفار حيهم وميتهم؛ فإن الله لم يسمح للمؤمنين أن يستغفروا للمشركين، فطلب الغفران للمشرك مما لا يجوز<sup>43</sup>.

#### 14. التعليل بـ "في":

وتأتي نادرا للتعليل، كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لُمْتُنِّي فِيهِ﴾ [يوسف: 32]، أي لأجله. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 14]، أي لأصابتكم عذاب عظيم بسبب ما خضتم فيه من الإفك على أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-<sup>44</sup>. أي لولا فضله ورحمته لمسكم بسبب ما قلمت في عائشة عذاب عظيم في الدنيا والآخرة، ولكنه برحمته ستر عليكم في الدنيا، ويرحم في الآخرة من آتاه تائباً<sup>45</sup>.

وهذا من الزواجر كذلك وعتاب على تناقل الأخبار، والإفاضة في الحديث، وإشاعة الكلام<sup>46</sup>. يظهر في هذه الآية مقصد قرآني بليغ يتمثل في التحذير من التسرع في تلقي الأخبار وإذاعتها دون وعي أو تثبت، لما يترتب عليه من مفساد خطيرة في المجتمع. وضرورة التثبت والتعقل قبل نشر الكلام، فالعجلة في تناقله تعد سببا للوقوع في الإثم واستحقاق العذاب.

#### 15. التعليل بـ "حتى":

والتعليل وعلامتها أن تحسن في موضعها حرف كي، نحو: حتى تغيب ذا الحسد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقْتُلُوا آلَیَّ تَبَغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: 9]، أي قاتلوا الفئة الباغية

<sup>43</sup> الزحيلي (أ). 1411هـ / 199م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج. 11. ص. 60-62.

<sup>44</sup> الزركشي (أ). 1376هـ / 1957م. البرهان في علوم القرآن. ج. 4. ص. 302.

<sup>45</sup> الزحيلي (أ). 1411هـ / 1991م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج. 18. ص. 188.

<sup>46</sup> الزحيلي (ب). 1422هـ. التفسير الوسيط. ج. 2. ص. 1737.

لكي ترجع إلى الحق. وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوًا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31]، أي لنبلونكم لكي نعلم المجاهدين والصابرين من غيرهم<sup>47</sup>. فالله شرع الجهاد لنصر الدين ومن شرعه يتبين من يجاهد ومن يقعد عن الجهاد، ويتبين من يصبر على لأواء الحرب ومن ينخزل ويفر، فلا تروج على الناس دعوى المنافقين صدق الإيمان ويعلم الناس المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه<sup>48</sup>. فمن امثل أمر الله وجاهد في سبيل الله لنصر دينه وإعلاء كلمته فهو المؤمن حقا، ومن تكاسل عن ذلك، كان ذلك نقصا في إيمانه<sup>49</sup>. بالابتلاء والامتحان تتبين جواهر الرجال، فيظهر المخلص، ويفتضح المماذق، وينكشف المنافق، فالذين آمنوا وأخلصوا نجوا وتخلصوا، والذين كفروا ونافقوا وقعوا في الهوان وأذلوا، ووسموا بالشقاوة وقطعوا<sup>50</sup>.

## 16. التعليل بـ "على":

كقوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنَّ يَنَالَهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَانَكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: 37]، أي تكبروه وتعظموه لأجل هدايتكم<sup>51</sup>. أي هكذا سخرها لكم، لتشكروه على هدايته إياكم لمعالم دينه، ومناسك حجه<sup>52</sup>. أي: مقابلة هدايته إياكم، فإنه يستحق أكمل الثناء وأجل الحمد، وأعلى التعظيم<sup>53</sup>. والمقصود من نفي أن يصل إلى الله لحومها ودمائها إبطال ما يفعله المشركون من نضح الدماء في المذابح وحول الكعبة وكانوا يذبحون بالمروة. وفي قوله: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها، ولكن يناله التقوى منكم إيماء إلى أن إراقة الدماء وتقطيع اللحوم ليسا مقصودين بالتعبد، ولكنهما وسيلة لنفع الناس بالهدايا إذ لا ينتفع بلحومها وجلودها وأجزائها إلا بالنحر أو الذبح وأن المقصد من شرعها انتفاع الناس المهديين وغيرهم. فأما المهدون فانتفاعهم بالأكل منها في يوم عيدهم فذلك نفع لأنفسهم ولأهاليهم ولو بالادخار منه إلى رجوعهم إلى آفاقهم. وأما غيرهم فانتفاع من

<sup>47</sup> الزركشي (أ). 1376هـ / 1957م. البرهان في علوم القرآن. ج. 4. ص. 273.

<sup>48</sup> ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 26. ص. 124.

<sup>49</sup> السعدي. 1420هـ / 2000م. تفسير السعدي. ص. 789.

<sup>50</sup> القشيري، عبد الكريم بن هوزن. د. ت. تفسير القشيري. إبراهيم البسيوني (المحقق). ط. 3. مصر: الهيئة المصرية العامة

للكتاب. ج. 3. ص. 414.

<sup>51</sup> الزركشي (أ). 1376هـ / 1957م. البرهان في علوم القرآن. ج. 4. ص. 284.

<sup>52</sup> المراغي. 1365هـ / 1946م. تفسير المراغي. ج. 17. ص. 116.

<sup>53</sup> السعدي. 1420هـ / 2000م. تفسير السعدي. ص. 539.

ليس له هدي من الحجيج بالأكل مما يهديه إليهم أقاربهم وأصحابهم، وانتفاع المحاويع من أهل الحرم بالشعب والتزود منها والانتفاع بجلودها وجلالها وقلائدها<sup>54</sup>.

## 17. التعليل بـ "كَيْلًا":

في قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7]، و "كَيْلًا" يكون تعليل لقوله: "فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ"، أي فالفيء وحكمه لله وللرسول، يقسمه على ما أمره الله تعالى، كي لا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى للفقراء بلغة يعيشون بها متداولًا بين الأغنياء يتكاثرون به، أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم، كما كان رؤسائهم يستأثرون بالغنائم ويقولون: من عَزَّ بَزَّ، والمعنى: كي لا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية<sup>55</sup>.

قد يرد سؤال على الذهن يحتاج إلى إنعام نظر وهو: ما الفرق بين "اللام"، و "كي"؟ وهل التعليل بهما متطابق؟ الحقيقة أنه لا يبدو هناك فرق واضح بينهما في التعليل، فهما متقاربان جدا، غير أن الذي يبدو لي أن الأصل في "كي" أن تستعمل لبيان الغرض الحقيقي، و"اللام" تستعمل له ولغيره، فـ "اللام" أوسع استعمالا من "كي" وهذا ما نراه في الاستعمال القرآني. فقد وردت "كي" في القرآن في عدة مواطن، ومنها قوله تعالى: ﴿فَأْتَبِكُمْ عَمَّا بَعَثَ لَكُمْ كَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>56</sup> [آل عمران: 153]. ﴿لَكُمْ كَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ تعليل، أي أهلكم بذلك الغم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة، وما أصابكم من القتل والجراح<sup>57</sup>.

أي كان جزاؤكم غما بغم، والغم الأول: إلحاق الهزيمة وحرمان الغنيمة والقتل بالصحابة، والغم الثاني الذي سبب الغم الأول: هو ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم من ألم وضيق بسبب عصيانكم أمره، ومخالفتكم رأيه. وقد فعل بكم ذلك كله لتتمرنوا على الشدائد، وتعودوا احتمال

<sup>54</sup>. ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 17. ص. 267-268.

<sup>55</sup>. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. 1420هـ. البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر. ج. 10. ص. 141.

<sup>56</sup>. السامرائي، فاضل صالح. 1420هـ / 2000م. معاني النحو. الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ج. 3. ص. 355.

<sup>57</sup>. ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 4. ص. 132.

المكاره، فإنها تصقل الأمم والأفراد، ولئلا تحزنوا على ما فاتكم من المنافع والمغانم، ولا على ما أصابكم من المضار من عدوكم، كالجراح والقتل، والله خير بأعمالكم، فمجازيكم عليها. إذ العمل سبب النجاح والظفر، وتكميل الإيمان والتحلي بالفضائل. وفي هذا ترغيب بالطاعة وزجر عن المعصية<sup>58</sup>.

### 18. التعليل بـ "إذ":

إن "إذ" مفيدة للتعليل في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 80]، كما ذكره السهيلي وغيره<sup>59</sup>. "ويظهر فيها معنى التعليل لو قلت: أكرمت زيدا لإحسانه إلي، أو إذ أحسن إلي. استويا في الوقت، وفهم من إذ ما فهم من لام التعليل، وإن إكرامك إياه في وقت إحسانه إليك، إنما كان لوجود إحسانه لك فيه"<sup>60</sup>.

ففي هذه الآية تقرير بأنه لا يمكن أن يقول شخص مخلص أتاه الله الكتاب والحكمة والنبوة للناس اعبدوني بدلا من الله تعالى أو اتخذوا الملائكة والنبیین أربابا بدلا من الله لأنه بذلك يكون قد أمرهم بالكفر بعد أن يكون دعاهم إلى الإسلام فأسلموا. وكل ما يمكن أن يقوله للناس كونوا ربانيين أي مخلصين لله وعبادته<sup>61</sup>. كما يستخرج منها؛ أن التعليم الديني والدراسة للإسلام إن لم تكن مصحوبة بالعمل والطاعة كانت وبالا على صاحبها، بل كان السراج يضيء للناس ويحرق نفسه<sup>62</sup>.

### 19. التعليل بـ "إذا":

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْتَكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۗ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا بَجْدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: 74-75]، أي ضعف العذاب

<sup>58</sup> الزحيلي (أ). 1411هـ / 1991م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج. 4. ص. 128.

<sup>59</sup> عزيمة. د. ت. دراسات لأسلوب القرآن الكريم. ج. 1. ص. 149.

<sup>60</sup> الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. 1407هـ. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: دار الكتاب العربي. ج. 4. ص. 309.

<sup>61</sup> دروزة. 1383هـ. التفسير الحديث. ج. 7. ص. 177.

<sup>62</sup> الحجازي، محمد محمود. 1413هـ. التفسير الواضح. ط. 10. بيروت: دار الجيل الجديد. ج. 1. ص. 247.

حيا وميتا في الدنيا والآخرة<sup>63</sup>. أي لو فعلت ذلك لعاقبناك بعقوبة مضاعفة في الدنيا والآخرة، لأن ذنب القائد أو العظيم يستحق عقابا أشد وأعظم<sup>64</sup>. ومن ثم يعاقب العلماء على زلاتهم أشد من عقاب العامة لأنهم يتبعونهم<sup>65</sup>. ومثل: "إِذَا" في قوله - صلى الله عليه وسلم - لأبي بن كعب وقد قال له: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذا تكفي همك، ويغفر لك ذنبك<sup>66</sup>.

**20. التعليل بـ "كَمَا":**

كقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَقْدَهُمْ وَأَبْصُرُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: 110]، فإن "كما" هنا تعليلية: أي: لأنهم لم يؤمنوا بالقرآن أول مرة؛ فلأجل ما سبق منهم من العناد والتعنت طمسنا على قلوبهم، وقلبنا أبصارهم وقلوبهم، والله "جل وعلا" مقلب القلوب، وكل قلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها ويصرفها كيف شاء، وفي الحديث: "يَا مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"<sup>67</sup>، وقال آخرون: المعنى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لتزكهم الإيمان به أول مرة، فعاقبناهم بتقليب أفئدتهم وأبصارهم. وهذا معنى حسن؛ فإن كاف التشبيه تتضمن نوعا من التعليل، كقوله: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77]، والذي حسن اجتماع التعليل والتشبيه الإعلام بأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر<sup>68</sup>.

ومن لم يقنعه ما جاء به القرآن من الدلائل العقلية والبراهين العلمية لا يقنعه ما يراه بعينه من الآيات الحسية، فله أن يدعى أن عينيه قد خدعتا أو أصيبتا بأفة، فهما لا تريان إلا

<sup>63</sup>. الأصفهاني، أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن شمس الدين. 1406 هـ / 1986 م. بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب. السعودية: دار المدني. ج. 3. ص. 89.

<sup>64</sup>. الزحيلي (أ). 1411 هـ / 1991 م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج. 4. ص. 128.

<sup>65</sup>. المراغي. 1365 هـ / 1946 م. تفسير المراغي. ج. 15. ص. 79.

<sup>66</sup>. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. 1395 هـ / 1957 م. سنن الترمذي. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. باب ما جاء في صفة أواني الخوض. ج. 4: ص. 636. رقم الحديث. 2457.

<sup>67</sup>. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. 1441 هـ / 2019 م. العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير. بيروت: دار ابن حزم. ج. 2. ص. 126-127.

<sup>68</sup>. ابن قيم الجوزية (ب)، محمد بن أبي بكر. 1441 هـ / 2019 م. شفاء العليل في مسائل القضاء، والقدر والحكمة والتعليل. الرياض: دار عطاءات العلم، بيروت: دار ابن حزم. ج. 1. ص. 327.

صوراً خيالية أو سحراً مفترى، وهذه سنة الأولين في مكابرة آيات الرسل<sup>69</sup>. وهذا من عدل الله، وحكمته بعباده، فإنهم الذين جنوا على أنفسهم، وفتح لهم الباب فلم يدخلوا، وبين لهم الطريق فلم يسلكوا، فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق، كان مناسباً لأحوالهم<sup>70</sup>.

## 21. التعليل بـ "ترتيب الجزاء على الشرط":

كقوله: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: 120]<sup>71</sup>، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: 229]. رتب رفع الجناح على الخوف النائر من الشقاق والنزاع، ولا تأثير له في صحة الخلع. وقد قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة: 282] في باب الشهادة، ولا تأثير لفقدتهما في جواز الاستشهاد بالنساء<sup>72</sup>.

وإنما جيء بهذا الوصف لضعف شهادة النساء وقلة ثقة الناس بها، ومن ثم فوّض الأمر فيها إلى رضى المستشهادين. وهذه العبارة لبيان سر تشريع الحكم في اشتراط العدد في النساء، إذ قد جرت العادة أن المرأة لا تشتغل بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوزات، فتكون ذاكرتها ضعيفة فيها، بخلاف الأمور المنزلية فإن ذاكرتها فيها أقوى من ذاكرة الرجل فقد جبل الإنسان على أن يقوى تذكره لما يهتم به ويعنى بشأنه، واشتغال النساء في هذا العصر بالمسائل المالية لا يغير هذا الحكم. لأن الأحكام إنما تكون للأعم الأكثر، وعدد هؤلاء قليل في كل أمة وجيل<sup>73</sup>.

## 22. التعليل بـ "ترتيب الحكم على الوصف":

كقوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: 16]<sup>74</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: 28]، ثبت

<sup>69</sup> المراغي. 1365هـ/1946م. تفسير المراغي. ج. 7. ص. 216.

<sup>70</sup> السعدي. 1420هـ/2000م. تفسير السعدي. ص. 269.

<sup>71</sup> ابن قيم الجوزية (أ). 1411هـ / 1991م. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ج. 1. ص. 151.

<sup>72</sup> الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي. 1390هـ / 1971م. شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل. بغداد: مطبعة الإرشاد. ص. 102-103.

<sup>73</sup> المراغي. 1365هـ/1946م. تفسير المراغي. ج. 3. ص. 74-75.

<sup>74</sup> ابن قيم الجوزية (أ). 1411هـ / 1991م. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ج. 1. ص. 151.

في أصول الفقه أن ترتيب الحكم على الوصف مشعر بكون ذلك الوصف علة لذلك الحكم، وهذا يقتضي أن المانع من قربهم من المسجد الحرام نجاستهم، وذلك يقتضي أنهم ما داموا مشركين كانوا ممنوعين عن المسجد الحرام<sup>75</sup>، وذلك يدل على أن ترتيب الحكم على الوصف يفيد كون الوصف علة للحكم، سواء تحققت المناسبة، أو لم تتحقق<sup>76</sup>، وبالقاعدة المقررة في أصول الفقه أن ترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على أن ذلك الوصف علة لذلك الحكم كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38]، وقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ [النور: 2]، فكما دل على أن سبب القطع والجلد هو السرقة والزنا<sup>77</sup>. فحكمة مشروعية القطع الجزاء على السرقة جزاء يقصد منه الردع وعدم العود، أي جزاء ليس بانتقام، ولكنه استصلاح<sup>78</sup>.

### 23. التعليل بـ "المفعول له":

كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: 19-21]، أي لم يفعل ذلك جزاء نعمة أحد من الناس، وإنما فعله ابتغاء وجهه الأعلی<sup>79</sup>. وقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آدَانِهِمْ مِّنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: 19]، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ [الإسراء: 100]، أي: لحذر الموت وخشية الإنفاق؛ لأن هذا من باب المفعول له، وهو علة الفعل<sup>80</sup>. وقصارى ذلك - إنكم لو ملكتم من الخير والنعمة خزائن لا نهاية لها لبقيتم على الشح والبخل. وفي هذا إيحاء إلى أن الله لا يجيبكم إلى ما طلبتم من نبيه صلى الله عليه وسلم من بساتين

<sup>75</sup> الرازي (ب)، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر. 1420هـ. التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج. 4. ص. 17.

<sup>76</sup> القراني، شهاب الدين أحمد بن إدريس. 1416هـ / 1995م. نفائس الأصول في شرح المحصول. د. م: مكتبة نزار مصطفى الباز. ج. 7. ص. 3237.

<sup>77</sup> ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي. 1407هـ / 1978م. الزواجر عن اقتراف الكبائر. د. م: دار الفكر. ج. 2. ص. 147.

<sup>78</sup> ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 6. ص. 193.

<sup>79</sup> ابن قيم الجوزية (أ). 1411هـ / 1991م. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ج. 1. ص. 151.

<sup>80</sup> المرادوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان. 1421هـ / 2000م. التحبير شرح التحرير في أصول الفقه. الرياض - السعودية: مكتبة الرشد. ج. 7. ص. 3318.

وعيون تنبع، لا بخلا منه، ولكن اقتضت الحكمة أن يكون نظام الدنيا هكذا، ولا رقى للإنسان إلا على هذا المنوال، فهو يوسع الرزق على قوم ويضيقه على آخرين على مقتضى الحكمة والمصلحة، ومن ثم لم ينزل ما اقترحوه<sup>81</sup>.

#### 24. التعليل بـ "إلحاق النظير بنظيره":

فهذا شرع الله وقدره ووحيه وثوابه وعقابه كله قائم بهذا الأصل، وهو إلحاق النظير بالنظير، واعتبار المثل بالمثل، ولهذا يذكر الشارع العلل والأوصاف المؤثرة والمعاني المعتبرة في الأحكام القدرية والشرعية والجزائية ليدل بذلك على تعلق الحكم بما أين وجدت، واقتضائها لأحكامها، وعدم تخلفها عنها إلا لمانع يعارض اقتضاءها ويوجب تخلف أثرها عنها، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: 75]. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: 13]<sup>82</sup>. أي: ذلك الذي ذكره كله من تأييده تعالى للمؤمنين وخذلانه للمشركين؛ بسبب أنهم شاقوا الله ورسوله أي عادوهما، فكان كل منهما في شق غير الذي فيه الآخر فالله هو الحق والداعي إلى الحق، ورسوله هو المبلغ عنه الحق، والمشركون على الباطل، وما يترتب عليه من الشرور والخرافات<sup>83</sup>. وكل هذا تأييد رباني لرسول الله والصادقين من أصحابه تدخل في نطاق المعجزات ويمكن أن تكرر في كل موقف جهادي إيماني يقفه المؤمنون الصادقون من أعداء الله وأعدائهم<sup>84</sup>.

ومن هذا أدلة القرآن بتعذيب المعينين الذين عذبهم على تكذيب رسله وعصيان أمره على أن هذا الحكم عام شامل على من سلك سبيلهم واتصف بصفاتهم، وهو سبحانه قد نبه عباده على نفس هذا الاستدلال، وتعديبه هذا الخصوص إلى العموم، كما قال تعالى عقيب إخباره عن عقوبات الأمم المكذبة لرسولهم وما حل بهم ﴿أَكْفَأَتْكُمْ حَيَّرَ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: 43] فهذا محض تعديبه الحكم إلى من عدا المذكورين بعموم العلة، وإلا فلو لم يكن حكم الشيء حكم مثله لما لزم التعديبه، ولا تمت الحجة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَقْلَمَ

<sup>81</sup>. المراغي. 1365هـ / 1946م. تفسير المراغي. ج. 15. ص. 101.

<sup>82</sup>. ابن قيم الجوزية (أ). 1411هـ / 1991م. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ج. 1. ص. 150.

<sup>83</sup>. محمد رشيد رضا. 1990م. تفسير المنار. ج. 9. ص. 511.

<sup>84</sup>. دروزة. 1383هـ. التفسير الحديث. ج. 7. ص. 21.

يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾  
[محمد: 10] فأخبر أن حكم الشيء حكم مثله<sup>85</sup>.

## 25. التعليل بـ "الدعوة إلى النظر":

والمقصود أنه سبحانه دعا الإنسان أن ينظر في مبدأ خلقه ورزقه، فإن ذلك يدل على دلالة ظاهرة على معاده ورجوعه إلى ربه. كقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۗ ﴿١٠﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿١١﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿١٢﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿١٣﴾ وَعَبَبْنَا وَقَضَبًا ﴿١٤﴾ وَزَيَّنَّا وَنَحْلًا ﴿١٥﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿١٦﴾ وَفُكْهَةً وَأَبًّا ﴿١٧﴾﴾ [عبس: 24-31]، فجعل سبحانه نظره في إخراج طعامه من الأرض دليلاً على إخراجها بعد موته، استدلالاً بالنظير على النظير<sup>86</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۗ﴾ [الإسراء: 99]. أي مثل هؤلاء المكذابين، والمراد به النشأة الثانية، وهي الخلق الجديد، والمقصود أنه دلهم سبحانه بخلق السماوات والأرض على الإعادة والبعث<sup>87</sup>. أي ألم يعلموا ويتدبروا أن الذي أبدع خلق السماوات والأرض على غير مثال سبق، قادر على أن يخلق أمثالهم، ويعيد أبدانهم، وينشئهم نشأة أخرى، كما بدأهم، فقدرتهم على إعادتهم أسهل من ذلك. فدل هذا على أن خلق الإنسان أو إعادته أهون وأيسر من خلق السماوات والأرض، وأن الإعادة أهون عليه من الابتداء. لكن للبعث والقيامة أو الموت وقتاً محدداً<sup>88</sup>. ويكون في الآية إيماء إلى أن البعث إعادة أجسام أخرى عن عدم، فيخلق لكل ميت جسد جديد على مثال جسده الذي كان في الدنيا وتوضع فيه الروح التي كانت له<sup>89</sup>.

## 26. التعليل بـ "ذكر الحكم الكوني أو الشرعي":

ذكر الحكم الكوني أو الشرعي عقيب الوصف المناسب له، فتارة يذكر بـ "إن"، وتارة يقرن بـ "الفاء"، وتارة يذكر مجرداً. وهذا في التنزيل يزيد على عدة آلاف موضع، بل القرآن مملوء

<sup>85</sup>. ابن قيم الجوزية (أ). 1411هـ / 1991م. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ج. 1. ص. 102.

<sup>86</sup>. ابن قيم الجوزية (أ). المرجع نفسه. ج. 1. ص. 113.

<sup>87</sup>. ابن قيم الجوزية (أ). المرجع نفسه. ج. 1. ص. 114.

<sup>88</sup>. الزحيلي (أ). 1411هـ / 1991م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج. 15. ص. 175.

<sup>89</sup>. ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 15. ص. 220.

منه<sup>90</sup>. فالأول كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْأَمْصَلِحِينَ﴾ [الأعراف: 170]. فالآية تتضمن تنويها بالذين يتمسكون بكتاب الله ووصاياه ويؤدون له حقه من العبادة، وبشارة وتطمينا بأن الله لا يضيع أجرهم، حيث ينطوي في ذلك تلقين بليغ مستمر المدى يستوحيه المسلمون أيضا في التزامهم بكتاب الله وما فيه من أوامر ونواه وحدود ومبادئ وأحكام وحلال وحرام<sup>91</sup>. وهذه الآية دلت على أن الله بعث رسله عليهم الصلاة والسلام بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضار، وأنهم بعثوا بصلاح الدارين، فكل من كان أصلح، كان أقرب إلى اتباعهم<sup>92</sup>.

والثاني كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: 4]. هذه الآية تبين حكم قذف المحصنة وهي الحرة البالغة العاقلة العفيفة، يجلد قاذفها ثمانين جلدة، وكذلك يجلد قاذف الرجل العفيف اتفقا، وقذف الرجل داخل في حكم الآية بالمعنى. وهذا دليل على أن القذف كبيرة من الكبائر، لما يترتب عليه من التشنيع وهتك حرمة المؤمنات<sup>93</sup>. هذا كله ليزجر كل من تسول له نفسه الخوض في أعراض الحرائر واتهام النساء الطاهرات؛ لذلك عبر عن القذف بالرمي؛ لأنه غالبا ما يكون عن عجلة وعدم بينة، فالحق - تبارك وتعالى - يريد أن يحفظ مجتمع الإيمان من أن تشيع فيه الفاحشة، أو مجرد ذكرها والحديث عنها<sup>94</sup>.

والثالث كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: 15]. أي إن الذين اتقوا ربهم، وتجنبوا ما يعرضهم لعذاب الله، من التزام أوامره واجتناب نواهيه، هم يوم المعاد في بساتين فيها عيون جارية، قابلين قبول رضا لكل ما أعطاهم ربهم، راضين به، فرحين بعبثائه وفضله، بخلاف ما يتعرض له أولئك الأشقياء من العذاب والنكال والحريق والأغلاق<sup>95</sup>.

<sup>90</sup> ابن قيم الجوزية (ب). 1441 هـ / 2019 م. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. ج. 2. ص. 133.

<sup>91</sup> دروزه. 1383 هـ. التفسير الحديث. ج. 2. ص. 526.

<sup>92</sup> السعدي. 1420 هـ / 2000 م. تفسير السعدي. ص. 308.

<sup>93</sup> الزحيلي (أ). 1411 هـ / 1991 م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج. 18. ص. 141-142.

<sup>94</sup> الشعراوي، محمد متولي. 1997. تفسير الشعراوي - الخواطر. د. م: مطابع أخبار اليوم. ج. 16. ص. 10205.

<sup>95</sup> الزحيلي (أ). 1411 هـ / 1991 م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج. 27. ص. 15.

## 27. التعليل بـ "تعليله سبحانه عدم الحكم القدري أو الشرعي بوجود المانع منه":

كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٩﴾ وَوَجَعَلْنَاهُ مَلَكَ جَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٨﴾ [الأنعام: 8 - 9]. فأخبر سبحانه عن المانع الذي منع من إنزال الملك عيانا بحيث يشاهدونه، وأن حكمته وعنايته بخلقه منعت من ذلك؛ فإنه لو أنزل الملك ثم عاينوه ولم يؤمنوا لعوجلوا بالعقوبة ولم ينظروا. وأيضا فإنه جعل الرسول بشرا ليتمكنهم التلقي عنه والرجوع إليه، ولو جعله ملكا فإما أن يدعه على هيئة الملائكة، أو يجعله على هيئة البشر. والأول يمنعهم من التلقي عنه، والثاني لا يحصل مقصودهم؛ إذ كانوا يقولون: هو بشر، لا ملك! ومن ذلك قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ [الأنعام: 37]، أي لا يعلمون حكمته تعالى ومصلحة عباده في الامتناع من إنزال الآيات التي يقترحها الناس على الأنبياء، وليس المراد أن أكثر الناس لا يعلمون أن الله قادر؛ فإنه لم ينازع في قدرة الله في الجملة أحد من المقرين بوجوده سبحانه، ولكن حكمته في ذلك لا يعلمها أكثر الناس.<sup>96</sup>

## 28. التعليل بـ "إخباره عن الحكم والغايات التي جعلها في خلقه وأمره":

كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِي أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ۖ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ [الجمانية: 12]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴿٢١﴾ [الروم: 21]. إلى أضعاف ذلك في القرآن، مما يفيد من له أدنى تأمل القطع بأنه سبحانه فعل ذلك للحكم والمصالح التي ذكرها، وغيرها مما لم يذكره. فهل يستقيم ذلك ويصح ممن لا يفعل لحكمة ولا لمصلحة ولا لغاية هي مقصودة بالفعل؟!<sup>97</sup>

وهذه الآية كائنة في خلق جوهر الصنفين من الإنسان: صنف الذكر، وصنف الأنثى، وإبداع نظام الإقبال بينهما في جبلتهما. وذلك من الذاتيات النسبية بين الصنفين<sup>98</sup>. أي ومن

<sup>96</sup>. ابن قيم الجوزية (ب). 1441هـ / 2019م. شفاء العليل في مسائل القضاء والتقدير والحكمة والتعليل. ج. 2. ص. 134-135.

<sup>97</sup>. عادل الشويخ. 2000م. تعليل الأحكام في الشريعة الإسلامية. ص. 71.

<sup>98</sup>. ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 21. ص. 710.

آياته الدالة على قدرته ورحمته أن خلق النساء لكم من جنس الرجال، وجعل بدء خلق المرأة من جسد الرجل، ليتحقق الوفاق ويكتمل الأنس، وجعل بين الجنسين المودة أي المحبة، والرحمة أي الشفقة ليتعاون الجنسان على أعباء الحياة، وتدوم الأسرة على أقوى أساس وأتم نظام، ويتم السكن والاطمئنان والراحة والهدوء، فإن الرجل يمسك المرأة ويتعلق بها إما لمحبتها لها، أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما وغير ذلك. ثم جعل الرابطة الزوجية بين الجنسين من تكوين واحد، وطباع واحدة، وغرائز متحدة، ليتحقق السكن إلى المرأة، ويتوافر الميل إليها، ويحدث الهدوء النفسي معها؛ فإن النفس ميالة إلى ما يلائمها، وينسجم معها في الأغراض، نافرة مما يناقضها ويعاكسها في الجملة<sup>99</sup>.

## 29. التعليل بـ " صدور الخلق والأمر عن الحكمة الإلهية":

يخبر القرآن عن صدور الخلق والأمر عن حكمته وعلمه، فيذكر هذين الاسمين عند ذكر مصدر خلقه وشرعه، تنبيها على أنهما إنما صدرا عن حكمة مقصودة مقارنة للعلم المحيط التام، كقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: 1]، فذكر العزة المتضمنة لكمال القدرة والتصرف، والحكمة المتضمنة لكمال الحمد والعلم. وقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38]، وإذا تأملت ختم الآيات بالأسماء والصفات وجدت كلامه محتما بذكر الصفة التي تقتضي ذلك، حتى كأنها ذكرت دليلا عليه وموجبة له، وهذا كقوله: ﴿إِن تُعَدِّجَهُمُ فَأِهِمَّ عِبَادُكَ وَاللَّهُ تَعَفَّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118]، أي فإن مغفرتك لهم تصدر عن عزة هي كمال القدرة، وحكمة هي كمال العلم، لا عن عجز وجهل. ومن هذا ختمه سبحانه قصص الأنبياء وأمهم في سورة الشعراء بقوله عقيب كل قصة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 9]، فإن ما حكم به لرسله وأتباعهم ولأعدائهم صادر عن عزة ورحمة، فوضع الرحمة في محلها، وانتقم من أعدائه بعزته، ونجى رسله وأتباعهم برحمته، والحكمة الحاصلة من ذلك أمر مطلوب مقصود، وهو غاية الفعل، لا أمرا اتفاقي. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: 6]<sup>100</sup>.

<sup>99</sup> الزحيلي (أ). 1411هـ / 1991م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج. 21. ص. 69-70.

<sup>100</sup> ابن قيم الجوزية (ب). 1441هـ / 2019م. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. ج. 2. ص.

أي وإنك أيها الرسول لتأخذ القرآن وتعطاه وتعلمه من عند حكيم في أمره ونهيه وتدير خلقه، عليم بالأمور جليلها وحقيرها وبأحوال خلقه وما فيه خيرهم، فخبره هو الصدق المحض، وحكمه هو العدل التام<sup>101</sup>. وفي الوصفين الشريفين مناسبة للمعطوف عليه وللممهد إليه، فإن ما في القرآن دليل على حكمة وعلم من أوحى به، وأن ما يذكر هنا من القصص وما يستخلص منها من المغازي والأمثال والموعظة، من آثار حكمة وعلم حكيم عليم، وكذلك ما في ذلك من تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>102</sup>.

### 30. التعليل بـ "إخبار الله بأن حكمه أحسن الأحكام، وتقديره أحسن التقادير"

ومن جهة أخرى فالله- سبحانه وتعالى- يخبر بأن حكمه أحسن الأحكام، وتقديره أحسن التقادير، ولولا مطابقتها للحكمة والمصلحة المقصودة المرادة لما كان كذلك؛ إذ لو كان حسنه لكونه مقدورا معلوما. كما يقوله النفاة. لكان هو وضده سواء؛ فإنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، فكان كل معلوم مقدور أحسن الأحكام وأحسن التقادير، وهذا ممتنع. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: 125]، فجعل هذا هو أحسن الأديان، ولهذا اختاره لنفسه وارتضاه لعباده، ويمتنع عليه أن يختار لهم دينا سواه، أو يرتضي دينا غيره، كما يمتنع عليه الحيف والظلم. وقال تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْوُتٍ﴾ [الملك: 3]. ولولا مجيئه على أكمل الوجوه وأحسنها ومطابقتها للغايات المحمودة، والحكم المطلوبة؛ لكان كله متفاوتا، أو كان عدم تفاوته أمرا اتفاقيا لا يحمد فاعله؛ لأنه لم يرد ولم يقصده، وإنما اتفق أن جاء كذلك<sup>103</sup>.

### 31. التعليل بـ "إخباره سبحانه أنه على صراط مستقيم"

لقد أخبر الله- سبحانه وتعالى- أنه على صراط مستقيم في موضعين من كتابه: أحدهما: قوله تعالى حاكيا عن نبيه هود: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56]. وأما وصفه سبحانه بأنه على صراط مستقيم

<sup>101</sup> الزحيلي (أ). 1411هـ / 1991م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج. 19. ص. 258-260.

<sup>102</sup> ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 19. ص. 224.

<sup>103</sup> ابن قيم الجوزية (ب). 1441هـ / 2019م. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. ج. 2. ص. 147-146.

فهو كونه يقول الحق، ويفعل الصواب، فكلماته صدق وعدل، وفعله كله صواب وخير، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، إذا عرف هذا، فمن ضرورة كونه على صراط مستقيم أنه لا يفعل شيئاً إلا لحكمة يحمد عليها، وغاية هي أولى بالإرادة من غيرها، فلا تخرج أفعاله عن الحكمة والمصلحة والإحسان والرحمة والعدل والصواب، كما لا تخرج أقواله عن العدل والصدق<sup>104</sup>.

وجملة ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ تعليل لجملة ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾، أي توكلت عليه لأنه أهل لتوكلي عليه، لأنه متصف بإجراء أفعاله على طريق العدل والتأييد لرسله<sup>105</sup>. ذكر توكله على الله، وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم، ووصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتغال ربيوبته عليه وعليهم، ومن كون كل دابة في قبضته وملكه وتحت قهره وسلطانه<sup>106</sup>. أي: أن الإله الواحد سبحانه له مطلق العدالة، ولم يأت هنا بشيء يخص أربابهم؛ لأنه هنا يتحدث عن مطلق عدالة الحق سبحانه. والحق سبحانه وتعالى على صراط مستقيم في منتهى قدرته، وقهره وسيطرته، ولا شيء يفلت منه، ومع كل قدرة الله تعالى اللامتناهية فهو لا يستعمل قهره في الظلم<sup>107</sup>.

### 32. التعليل بـ "حمده سبحانه لنفسه على جميع ما فعله"

وردت آيات كثيرة تدل على حمده تعالى لنفسه جميع ما فعله، وأمر عباده بحمده، كقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: 8]. وهذا لما في أفعاله من الغايات والعواقب الحميدة التي يستحق فاعلها الحمد، فهو يحمد على نفس الفعل، ومنكرو الحكم والتعليل ليس عندهم محموداً على قصد الغاية، ولا على حصولها؛ إذ قصدوا عندهم مستحيل عليه، وحصولها عندهم أمر اتفاقي غير مقصود، كما صرحوا به، فلا يحمد على ما لا يجوز قصد، ولا على حصوله، فلم يبق إلا نفس الفعل، ومعلوم أن الفاعل لا يحمد على فعله إن لم يكن له فيه غاية مطلوبة هي أولى به من عدمها، وإلا فمجرد الفعل الصادر عن الفاعل إذا لم يكن له غاية يقصده بها لا يحمد عليه، بل وقوع هذا الفعل من القادر المختار الحكيم محال، ولا يقع الفعل على هذا الوجه إلا من عابث، والله منزه عن العبث. فحمده سبحانه من أعظم

<sup>104</sup>. ابن قيم الجوزية (ب). المرجع نفسه. ج. 2. ص. 1447 - 149.

<sup>105</sup>. ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 12. ص. 101.

<sup>106</sup>. سعيد حوى. 1424هـ. الأساس في التفسير. القاهرة: دار السلام. ج. 5. ص. 2572.

<sup>107</sup>. الشعراوي. 1997. تفسير الشعراوي. ج. 11. ص. 6511.

الأدلة على كمال حكمته، وقصده بما فعل نفع خلقه والإحسان إليهم ورحمتهم، وإتمام نعمته عليهم، وغير ذلك من الحكم والغايات التي تعطيلها تعطيل حقيقة حمده<sup>108</sup>.

وإجراء الصفات في هذه الآية لزيادة تقرير أن ما نقومه منهم ليس من شأنه أن ينقم، بل هو حقيق بأن يمدحوا به لأنهم آمنوا برب حقيق بأن يؤمن به لأجل صفاته التي تقتضي عبادته ونبذ ما عداه لأنه ينصر مواليه ويثيبهم ولأنه يملكهم، وما عداه ضعيف العزة لا يضر ولا ينفع ولا يملك منهم شيئاً فيقوى التعجيب منهم بهذا<sup>109</sup>. أي إن هؤلاء الكفار الجبابرة ما أنكروا عليهم ذنبا إلا إيمانهم، ولا عابوا على المؤمنين إلا أنهم صدقوا بالله الغالب الذي لا يغلب، الحمود في كل حال. وأشار بقوله: ﴿الْعَزِيزُ﴾ إلى أنه لو شاء لمنع أولئك الجبابرة من تعذيب أولئك المؤمنين، ولأطفاً نيرانهم وأماهم، وأشار بقوله: ﴿الْحَمِيدُ﴾ إلى أن المعتبر عنده سبحانه من الأفعال عواقبها، فهو وإن كان قد أمهل لكنه ما أمهل، فإنه سيثب المؤمنين، ويعاقب أولئك الكفرة<sup>110</sup>.

### 33. التعليل بـ "إخباره بإنعامه على خلقه وإحسانه إليهم":

أخبر الله- سبحانه- بأنه منعم إلى خلقه ومحسن إليهم، وأنه خلق لهم ما في السماوات وما في الأرض، وأعطاهم الأسماع والأبصار والأفئدة ليتم نعمته عليهم، وأنه سبحانه حيث ذكر إنعامه وإحسانه فإنما يذكره مقرونا بالحكم والمصالح والمنافع التي خلق الخلق وشرع الشرائع لأجلها، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سُرُبِيلًا تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسُرُبِيلًا تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: 81]، فهذا في الخلق<sup>111</sup>.

وهذا امتنان بنعمة الإلهام إلى التوقي من أضرار الحر والقر في حالة الانتقال، أعقبت به المنة بذلك في حال الإقامة والسكنى، وبنعمة خلق الأشياء التي يكون بها ذلك التوقي باستعمال الموجود وصنع ما يحتاج إليه الإنسان من اللباس، إذ خلق الله الظلال صالحة للتوقي من حر

<sup>108</sup>. ابن قيم الجوزية (ب). 1441 هـ / 2019 م. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. ج. 2. ص. 150.

<sup>109</sup>. ابن عاشور. 1984 م. التحرير والتنوير. ج. 30. ص. 244.

<sup>110</sup>. الزحيلي (أ). 1411 هـ / 1999 م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج. 30. ص. 159.

<sup>111</sup>. ابن قيم الجوزية (ب). 1441 هـ / 2019 م. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. ج. 2. ص. 150-151.

الشمس، وخلق الكهوف في الجبال ليتمكن اللجأ إليها، وخلق مواد اللباس مع الإلهام إلى صناعة نسجها، وخلق الحديد لاتخاذ الدروع للقتال<sup>112</sup>. إنما اقتصر على الحر لأنه أهم هنا لما عرف من غلبة الحر على ديار العرب، ثم إن ما بقي الحر يحصل به برودة في الهواء في الجملة، فوقاية الحر إنما هي لتحصيل البرد، وهذا فيه من اللطف ما هو أَلطف من النسيم<sup>113</sup>.

وقال في الشرع في أمره بالوضوء والتيمم: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6]، فجعل تمام نعمته في أن خلق ما خلق للإحسان، وأمر بما أمر لذلك<sup>114</sup>.

### 34. التعليل بـ "اتصافه-سبحانه-بالرحمة"

وصفه-سبحانه وتعالى لنفسه-بالرحمة، وأنه أرحم الراحمين، وأن رحمته وسعت كل شيء، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: 7]<sup>115</sup>. أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء من خلقك، والمراد أن رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك يحبط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم<sup>116</sup>.

وذلك لا يتحقق إلا بأن يقصد رحمة خلقه بما خلقه لهم، وبما أمرهم به، فلو لم تكن أوامره لأجل الرحمة والحكمة والمصلحة وإرادة الإحسان إليهم لما كانت رحمة، ولما كان رسوله رحمة للعالمين، فلو خلت أحكامه عن الحكم والمصالح لما كانت رحمة، ولو حصلت بها الرحمة لكانت اتفاقية لا مقصودة، وذلك لا يوجب أن يكون الأمر سبحانه أرحم الراحمين، فتعطيل حكمته والغاية المقصودة التي لأجلها يفعل إنكار لرحمته في الحقيقة، وتعطيل لها<sup>117</sup>.

### 35. التعليل بـ "التخصيص والتمييز الواقع في أفعاله-سبحانه-"

<sup>112</sup> ابن عاشور. 1984م. التحرير والتنوير. ج. 14. ص. 239-240.

<sup>113</sup> المراغي. 1365هـ/ 1946م. تفسير المراغي. ج. 14. ص. 122.

<sup>114</sup> ابن قيم الجوزية (ب). 1441هـ / 2019م. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. ج. 2. ص. 151-150.

<sup>115</sup> عادل الشويخ. 2000م. تعليل الأحكام في الشريعة الإسلامية. ص. 74.

<sup>116</sup> المراغي. 1365هـ/ 1946م. تفسير المراغي. ج. 24. ص. 47.

<sup>117</sup> ابن قيم الجوزية (ب). 1441هـ / 2019م. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. ج. 2. ص. 152.

جوابه سبحانه لمن سأله عن التخصيص والتمييز الواقع في أفعاله بأنه لحكمة يعلمها هو سبحانه، وإن كان السائل لا يعلمها، كما أجاب الملائكة لما قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، فأجابهم بقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30]، ولو كان فعله مجردا عن الحكم والغايات والمصالح لكان الملائكة أعلم من أن يسألوا هذا السؤال، ولم يصح جوابهم بتفرده بعلم ما لا يعلمونه من الحكم والمصلحة التي في خلق هذا الخليفة. ولهذا لم يكن سؤالهم اعتراضا على الرب تعالى، ولو قدر أنه على وجه الاعتراض فهو دليل على علمهم أنه لا يفعل شيئا إلا للحكمة، فلما رأوا أن خلق هذا الخليفة مناف للحكمة في الظاهر سألوه عن ذلك<sup>118</sup>.

### 36. التعليل بـ "الطرد والعكس في بعض أمور الخلق"

يخبر الله - سبحانه - عن تركه بعض مقدوره أن يفعله لما يستلزمه من المفسدة، وأن المصلحة في تركه، ولو كان الأمر راجعا إلى محض المشيئة لم يكن ذلك علة للحكم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: 22 - 23]، فعلى سبحانه عدم إسماعهم السماع الذي ينتفعون به. وهو سماع الفهم. بأنهم لا خير فيهم يحسن معه أن يسمعهم، وبأن فيهم مانعا آخر يمنع من الانتفاع بالمسموع لو سمعوه وهو الكبر والإعراض، فالأول من باب تعليل عدم الحكم بعدم مقتضيه، والثاني من باب تعليله بوجود مانعه، وهذا إنما يصح ممن يأمر وينهى ويفعل للحكم والمصالح.

وأما من تجرد فعله عن ذلك فإنه لا يضاف عدم الحكم إلا إلى مجرد مشيئته فقط، لأن تعطيل الحكمة والغاية المطلوبة بالفعل إما أن يكون لعدم علم الفاعل بها أو بتفصيلها، وهذا محال في حق من هو بكل شيء عليم، وإما لعجزه عن تحصيلها، وهذا ممتنع في حق من هو على كل شيء قدير، وإما لعدم إرادته ومشيئته الإحسان إلى غيره وإيصال النفع إليه، وهذا مستحيل في حق أرحم الراحمين، ومن إحسانه من لوازم ذاته فلا يكون إلا محسنا منعنا منانا، وإما لما منع يمنع من إرادتها وقصدها، وهذا مستحيل في حق من لا يمنعه مانع عن فعل ما يريد<sup>119</sup>.

<sup>118</sup> . ابن قيم الجوزية (ب). المرجع نفسه. ج. 2. ص. 153-154.

<sup>119</sup> . ابن قيم الجوزية (ب). المرجع نفسه. ج. 2. ص. 155-156.

### 37. التعليل بـ "ضرب الأمثال في القرآن والحكمة فيه"

ومن هذا ما وقع في القرآن من الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون؛ فإنها تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر، كقوله تعالى في حق المنافقين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَّا يَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بَكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَّجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْءِآذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ [البقرة: 17-19].

أعقت تفاصيل صفاتهم بتصوير مجموعها في صورة واحدة، بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة، وهذه طريقة تشبيه التمثيل، إلحاقاً لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة، لأن النفس إلى المحسوس أميل. وإتماماً للبيان بجمع المتفرقات في السمع، المطالعة في اللفظ، في صورة واحدة لأن للإجمال بعد التفصيل وقعا من نفوس السامعين. وتقريراً لجميع ما تقدم في الذهن بصورة تخالف ما صور سالفاً لأن تجدد الصورة عند النفس أحب من تكررها<sup>121</sup>. والخلاصة: قد يضيء النفاق لصاحبه الدرب حيناً قصيراً، ثم سرعان ما ينطفئ كما تنطفئ النار، مما يجعل النفاق لا دوام له ولا استمرار. وقد يجد المنافق الأمل في نفاقه لتحقيق غرض أو مكسب مادي رخيص، ثم تتبدد الآمال، ويبقى المنافقون في قلق واضطراب، إذ إن فرحهم الظاهري بنزول آية، وسيرهم مع المسلمين، يسقطه الامتحان عند ما يطالبون بالجهاد مع المؤمنين، وإن التلون بالدعم حين الحير، والنقمة والكفر حين الشر، مثل المنافق غير المؤمن<sup>122</sup>.

#### الخاتمة

بعد استعراض مسلك "النص" وأدواته في التعليل، يتضح أن هذا المسلك يمثل أحد أقوى المسالك دقة ووضوحاً في استخراج مقاصد القرآن الكريم، حيث يعتمد على التصريح المباشر بالمقصد داخل النصوص القرآنية، مما يجعله مرجعاً أساسياً في فهم الأغراض التشريعية والمقاصدية التي

<sup>120</sup>. ابن قيم الجوزية (أ). 1411 هـ / 1991 م. إعلام الموقعين عن رب العالمين. ج. 1. ص. 116.

<sup>121</sup>. ابن عاشور. 1984 م. التحرير والتنوير. ج. 1. ص. 302.

<sup>122</sup>. الزحيلي (أ). 1411 هـ / 1991 م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج. 1. ص. 92-93.

وردت في الكتاب العزيز. كما أن هذا المسلك يعد ركيزة محورية في بناء الفهم الصحيح للنصوص القرآنية، حيث يسهم في تقليل التأويلات الظنية، ويؤدي إلى تحقيق الانسجام بين الأحكام الشرعية ومقاصدها الكلية.

وقد أظهرت الدراسة أن العلماء عبر العصور قد أولوا هذا المسلك اهتماما بالغا، وضمنوه في كتب الأصول والمقاصد، كما وضحو الأدوات اللغوية والبيانية التي يستخدمها القرآن الكريم في بيان الأحكام والمقاصد القرآنية، وأكدت الدراسة أن القرآن الكريم استخدم أدوات تحليلية متنوعة تدل على الحكم والمقاصد بشكل واضح، مما يعزز من المنهجية العلمية في التعامل مع النصوص القرآنية.

وتوصي الدراسة بأهمية التركيز على مسلك النص في الدراسات القرآنية، وتطوير مناهج استنباط المقاصد بناء عليه، حتى يتمكن الباحثون من الوصول إلى فهم أكثر عمقا وشمولية للنصوص القرآنية. خاصة في ظل التحديات المعاصرة التي تستوجب العودة إلى النصوص القطعية في التشريع الإسلامي. بما يحقق التوازن بين الثوابت والمتغيرات، ويسهم في تحقيق المقاصد القرآنية في مختلف جوانب الحياة. كما توصي الدراسة بمزيد من البحث في تطبيقات مسلك النص في الآيات القرآنية لاستخراج المقاصد والحكم منها.

ختاما، فإن هذا البحث يسهم في إثراء الدراسات القرآنية والمقاصدية من خلال تقديم رؤية متكاملة حول مسلك "النص"، ويوفر إطارا علميا واضحا لاستخراج مقاصد القرآن الكريم، مما يدعم الجهود الرامية إلى فهم النصوص الشرعية بمنهجية علمية دقيقة ومستندة إلى الأدلة القطعية، بما يحقق الاستفادة القصوى من التعليل القرآني في فهم النصوص الشرعية واستنباط أحكامها، وفق منهج علمي دقيق ومنضبط.

## References

- Adil al-Shuwaykh. (2000). *Ta'lim al-ahkam fi al-shari'ah al-Islamiyyah*. Dar al-Bashir.
- Al-Amidi, A. ibn M. (1402 AH). *Al-ihkam fi usul al-ahkam* (A. al-Razzaq Afifi, Ed., 2nd ed.). Al-Maktab al-Islami.
- Al-Andalusi, A. H. M. ibn Y. (1420 AH). *Al-bahr al-muhit fi al-tafsir* (S. M. Jamil, Ed.). Dar al-Fikr.
- Al-Asfahani, A. al-T. M. ibn A. al-R. S. al-D. (1986). *Bayan al-mukhtasar sharh mukhtasar Ibn al-Hajib* (M. M. Baqqa, Ed.). Dar al-Madani.
- Al-Ghazali, A. H. M. ibn M. al-Tusi. (1971). *Shifa' al-ghalil fi bayan al-shubah wa al-mukhil wa masalik al-ta'lim* (H. al-Kubaysi, Ed.). Matba'at al-Irshad.
- Al-Maraghi, A. ibn M. (1946). *Tafsir al-Maraghi* (Vol. 30). Maktabat wa Matba'at Mustafa al-Babi al-Halabi.
- Al-Mardawi, A. al-D. A. ibn S. (2000). *Al-tahbir sharh al-tahrir fi usul al-fiqh* (A. al-R. al-Jibrin, A. al-Qarni, & A. al-Sarrah, Eds.). Maktabat al-Rushd.
- Al-Qarafi, S. al-D. A. ibn I. (1995). *Nafa'is al-usul fi sharh al-mahsul* (A. A. al-Mawjud & A. M. Mu'awwad, Eds.). Maktabat Nizar Mustafa al-Baz.
- Al-Qushayri, A. al-K. ibn H. (n.d.). *Tafsir al-Qushayri: Lata'if al-isharat* (I. al-Basyuni, Ed., Vol. 3, 3rd ed.). Al-Hay'ah al-Misriyyah al-'Ammah lil-Kitab.
- Al-Razi, F. al-D. M. ibn U. (1997). *Al-mahsul* (T. J. F. al-Alwani, Ed., 3rd ed.). Mu'assasat al-Risalah.
- Al-Razi, F. al-D. M. ibn U. (1420 AH). *Mafatih al-ghayb (Al-tafsir al-kabir)* (3rd ed.). Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
- Al-Sa'di, A. al-R. ibn N. (2000). *Tafsir al-Sa'di: Tayseer al-karim al-rahman fi tafsir kalam al-mannan* (A. al-R. ibn M. al-Luwayhiq, Ed.). Mu'assasat al-Risalah.
- Al-Samara'i, F. S. (2000). *Ma'ani al-nahw*. Dar al-Fikr.
- Al-Sha'rawi, M. M. (1997). *Tafsir al-Sha'rawi: Al-khawatir* (Vol. 8). Matabi Akhbar al-Yawm.
- Al-Shanqiti, M. al-A. al-Jakani. (2019). *Al-adhb al-namir min majalis al-Shanqiti fi al-tafsir* (K. ibn U. al-Sabt, Ed.). Dar Ibn Hazm.
- Al-Zamakhshari, M. ibn A. (1407 AH). *Al-kashshaf an haqa'iq ghawamid al-tanzil* (3rd ed.). Dar al-Kitab al-Arabi.
- Al-Zarkashi, B. al-D. M. ibn A. (1957). *Al-burhan fi ulum al-Qur'an* (M. A. al-F. Ibrahim, Ed.). Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyyah Isa al-Babi al-Halabi.
- Al-Zuhayli, W. ibn M. (1990). *Al-tafsir al-munir fi al-'aqidah wa al-shari'ah wa al-manhaj* (Vol. 30). Dar al-Fikr & Dar al-Fikr al-Mu'asir.
- Al-Zuhayli, W. ibn M. (2001). *Al-tafsir al-wasit* (Vol. 3). Dar al-Fikr.
- Darwazah, M. I. (1383 AH). *Al-tafsir al-hadith*. Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyyah.
- Hamidi, A. al-Karim. (2007). *Al-madkhal ila maqasid al-Qur'an*. Maktabat al-Rushd.

- bn Ashur, M. al-T. (1984). *Al-tahrir wa al-tanwir: Tahrir al-ma'na al-sadid wa tanwir al-'aql al-jadid min tafsir al-kitab al-majid*. Al-Dar al-Tunisiyyah lil-Nashr.
- Ibn Hajar al-Haytami, A. ibn M. ibn A. (1987). *Al-zawajir an iqtiraf al-kabair*. Dar al-Fikr.
- Ibn Qayyim al-Jawziyyah, M. ibn A. B. (1991). *I'lam al-muwaqqi'in an rabb al-'alamin* (M. A. al-Salam Ibrahim, Ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
- Ibn Qayyim al-Jawziyyah, M. ibn A. B. (2019). *Shifa' al-'alil fi masa'il al-qada wa al-qadar wa al-hikmah wa al-ta'lil* (Z. ibn S. Balfaqqih, Ed., 2nd ed.). Dar Ata'at al-Ilm & Dar Ibn Hazm.
- Majmu'ah min al-Ulama. (1404-1427 AH). *Al-mawsu'ah al-fiqhiyyah al-kuwaytiyyah* (2nd ed.). Ministry of Awqaf and Islamic Affairs & Dar al-Salasil.
- Nu'man Jughaym. (2016). *Turuq al-kashf an maqasid al-shari'*. Dar al-Nafa'is.
- Rida, M. R. (1990). *Tafsir al-Qur'an al-hakim (Tafsir al-Manar)*. Al-Hay'ah al-Misriyyah al-'Ammah lil-Kitab.
- Sa'id Hawwa. (2003). *Al-asas fi al-tafsir* (Vol. 3, 6th ed.). Dar al-Salam.
- Udaymah, M. A. al-K. (n.d.). *Dirasat li-aslub al-Qur'an al-karim*. Dar al-Hadith.